

تفسير البحر المحيط

@ 102 لقائل ذلك أن يسلك مذهب الكوفيين في أن أفعال التفضيل ينتصب المفعول به ،
فالقوانس عندهم منصوب بأضرب نصب المفعول به ، وإنما تأويله بضرب القوانس قول البصريين
، ولذلك ذهب بعض النحويين إلى أن قوله { أَعْلَامٌ مِّنْ يَّضِلُّهُ } من منصوبة بأعلم نصب
المفعول به ، ولو كثر وجود مثل . .
واضرب منا بالسيوف القوانسا .

لكننا نقيسه ويكون معناه صحيحاً لأن أفعال التفضيل مضمن معنى المصدر فيعمل بذلك التضمين
، ألا ترى أن المعنى يزيد ضربنا بالسيوف القوانسا على ضرب غيرنا ، ولما ذكر قوله ليعلم
مشعراً باختلاف في أمرهم عقب بأنه تعالى هو الذي يقص شيئاً فشيئاً على رسوله صلى الله
عليه وسلم) خبرهم { بِرِالْحَقِّ } أي على وجه الصدق ، وجاء لفظ { نَحْنُ نَقُصُّ }
موازيماً لقوله لنعلم . .

ثم قال { بَرَّ بِرَبِّهِمْ وَزَادُوا زَاهُومٌ } ففيه إضافة الرب وهو السيد والناظر في مصلحة
عبده ، ولم يأت التركيب { ءَامَنُوا } بناء للأشعار بتلك الرتبة وهي أنهم مريبون له
مملوكون . ثم قال : { وَزَادُوا زَاهُومٌ هُدًى } ولم يأت التركيب وزادهم لما في لفظة نا من
العظمة والجلال ، وزيادته تعالى لهم { هُدًى } هو تيسيرهم للعمل الصالح والإنقطاع إليه
ومباعدة الناس والزهد في الدنيا ، وهذه زيادة في الإيمان الذي حصل لهم . وفي التحرير {
زَادُوا زَاهُومٌ } ثمرات { هُدًى } أو يقيناً قولان ، وما حصلت به الزيادة امثال الأمور
وترك المنهي ، أو إنطاق الكلب لهم بأنه هو على ما هم عليه من الإيمان ، أو إنزال ملك
عليهم بالتبشير والتثبيت وإخبارهم بظهور نبي من العرب يكون الدين به كله □ فأمنوا به
قبل بعثه أقوال ملخصة من التحرير . .

{ وَرَبَّطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ } ثبتناها وقويناها على الصبر على هجرة الوطن
والنعيم والفرار بالدين إلى غار في مكان قفر لا أنيس به ولا ماء ولا طعام ، ولما كان
الفرع وخوف النفس يشبه بالتناسب الإنحلال حسن في شدة النفس وقوة التصميم أن تشبه الربط
، ومنه فلان رابط الجأش إذا كانت نفسه لا تتفرق عند الفرع والحرب . وقال تعالى : { إِنْ
كَادَتْ لَتَتَّبِعُنِي بِرَبِّهِمْ لَوْ لَا أَن رَّبَّطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ } والعامل في { أَنْ
رَّبَّطْنَا } أي ربطنا حين { قَامُوا } ، ويحتمل القيام أن يكون مقامهم بين يدي
الملك الكافر دقيانوس ، فإنه مقام محتاج إلى الربط على القلب حيث صلبوا عليه وخلعوا
دينه ورفضوا في ذات □ هيبتة ، ويحتمل أن يكون عبارة عن انبعاثهم بالعزم إلى الهروب

إلى □ ومنايذة الناس كما يقال : قام فلان إلى كذا إذا اعتزم عليه بغاية الجد . .
وقال الكرمانى : { قَامُوا ° } على أرجلهم . وقيل : { قَامُوا ° } يدعون الناس سرّاً .
وقال عطاء { قَامُوا ° } عند قيامهم من النوم قالوا وقيل : { قَامُوا ° } على إيمانهم .
وقال صاحب الغنيان : { إِذٌ قَامُوا ° } بين يديّ الملك فتحرّكت هرة . وقيل : فأرة ففزع
دقيانوس فنظر بعضهم إلى بعض فلم يتمالكوا أن قالوا { رَبُّنَا رَبُّ * السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ } وكان قومهم عباد أصنام ، وما أحسن ما وحدوا □ بأن ربهم هو موجد السموات
والأرض المتصرف فيها على ما يشاء ، ثم أكدوا هذا التوحيد بالبراءة من إله غيره بلفظ
النفى المستغرق تأييد الزمان على قول . واللام في { لَقَدِ } لام توكيد و { إِذَا } حرف
جواب وجزاء ، أي { لَقَدِ قُلْنَا } لن ندعو من دونه إلهاً قولاً { شَطَطًا } أي ذا
شطط وهو التعدي والجور ، فشططاً نعت لمصدر محذوف إما على الحذف كما قدرناه ، وإما على
الوصف به على جهة المبالغة . وقيل : مفعول به بقلنا . وقال قتادة : { شَطَطًا } كذباً
. وقال أبو زيد : خطأً . .

{ هَوُّؤْلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا ° مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْلا يَأْتُونِ ءَعْلَٰيِهِمْ
بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى ءَعْلَٰى اللّٰهِ كَذِبًا وَإِذِ }

ولما وحدوا □ تعالى ورفضوا ما دونه من الآلهة أخذوا في ذم قومهم وسوء فعلهم وأنهم لا
حجة لهم في عبادة غير □ ، ثم عظموا جرم من افتري على □ كذباً وهذه المقالة يحتمل أن
قالوها في مقامهم بين يديّ الملك تقبيحاً لما هو وقومهم عليه وذلك أبلغ في التبرّي من
عبادة الأصنام ، وأفتّ في عضد الملك إذا اجترؤوا عليه بدم ما هو عليه ، ويحتمل أن قالوا
ذلك عند قيامهم للأمر الذي عزموا عليه و { هَوُّؤْلَاءِ } مبتدأ . .

و { قَوْمُنَا } قال الحوفي : خبر و { اتَّخَذُوا ° } في موضع الحال . وقال الزمخشري
: وتبعه أبو البقاء : { قَوْمُنَا } عطف بيان و { اتَّخَذُوا ° } في موضع الخبر .
والضمير في { مِنْ دُونِهِ } عائد على □